قضية تيسير النحو

الأستاذ الدكتور زهير غازي زاهد(*)

إنّ قضية تيسير النحو كأنّها ولدت مع ميلاد النحو لكنها اتخذت صوراً مختلفة باختلاف العصور. فمنذ أن ظهر كتاب سيبوية (ت١٨٠هـ) وهو يحتوي علم شيخه الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) وكان يشتمل على مستويات العربية الصوتية والصرفية والنحوية، بدأ الدارسون ينكبّون على قراءته إذْ يجدون فيه أشياء لاتخلو من غموض تحتاج إلى شرح وتوضيح. وقد تخصص علماء بإقرائه في حلقاتهم الدراسية فأخذه أبو عمر الجرمي (ت٢٢٥هـ)، وأبو عثمان المازني (ت٢٤٩هـ) قراءة وإملاء على أبي الحسن الأخفش الأوسط (ت٢١١هـ)، ودرسه أبو العبّاس المبرّد (ت٢٨٥هـ) على المازني، ودرسه أبو إسحاق الزجاج (ت٣٤٠هـ) وأبو بكر بن السراج (ت٣١٦هـ) على المبرّد، ثم أخذه أبو جعفر النحّاس (ت٣٣٧هـ) وابن ولاّد (ت٣٣٢هـ) على الزجّاج فنقلاه إلى مصر، ومنها نقلها تلامذتهم إلى الأندلس، وهكذا اتسعت شهرة الكتاب ودارسوه. وقد شرح الكتاب في المشرق والمغرب شروط كثيرة تجاوزت الستين شرحاً، والشروح هي سبيل من سبل التيسير، وقد اتخذ العلماء سبيلاً آخر لتيسير النحو، هو تأليفهم الكتب المنهجية الميسرة إذ كانوا يقرئونها أو يملونها في حلقاتهم العلمية، ومن هذه الكتب كتاب «الجمل» للزجاجي (ت٣٤٠هـ). و«الواضح» لأبي بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ) و«اللمع» لابن جنّي (ت٣٩٢هـ) وغيرها. هذه الكتب خلت من كثرة التعليل وتفريع القياس والاختلافات في تعدد الإعراب والوجوه والشواذ. وإلى جانبها ألّف العلماء الموجزات والمختصرات والمتون فللأخفش الأوسط موجز في النحو، وكذا للكسائي، ولأبي جعفر النحاس موجز سمّاه «التفاحة» حتى إذا وصلنا إلى القرن الثامن نجد متن الأجرومية لابن أجرّوم الصنهاجي (ت٧٢٣هـ) يشيع في مجالس النحويين وحلقاتهم. ولاننسى وسيلة أخرى اتخذها النحويون يمكن أن تعد في ضمن التيسير، وهي المنظومات النحوية بدءاً من ألفية ابن معطٍ (ت٦٢٨هـ) ثم ابن مالك (ت٦٧٢هـ) وألفية شعبان الأثاري (ت٨٢٨هـ) وغيرهم. كل تلك الوسائل كانت طرقاً اتخذها النحويون لتيسير النحو وتبسيطه.

(*) باحث ومحقق، أستاذ في جامعة الفاتح ـ طرابلس ـ ليبيا.

قد يسأل سائل لماذا تيسير النحو؟ وماهو النحو الذي ينبغي له أن ييسر للدارسين؟

يمكننا أن نجيب على السؤالين بجواب واحد. فالنحو العربي في بدايته كان نحواً تعليمياً فقد ارتبطت نشأة النحو بالحفاظ على القرآن الكريم وسلامة لغته وأدائه. و«الكتاب» الذي وصل إلينا معزواً إلى سيبويه شمل مجالات اللغة، وهي أوسع ممّا يتطلبه المبتدىء في تعلّم النحو، لذلك احتاج النحويون إلى مقدمات مبسطة للناشئة والشادين في هذا المجال، فألّفت الموجزات والمتون المبسطة. ثم إن النحو كغيره مما لدى الأمم الأخرى لم ينشأ لدراسة اللغة من أجل ذاتها إنما نشأ لخدمة القرآن الكريم والحفاظ على لغته كما ذكرت، لذلك احتوت قواعده على العربية بمختلف لهجاتها فدخل فيه اختلاف اللهجات واختلاف القراءات القرآنية بمستوياتها المختلفة الكثيرة القياسية والنادرة القليلة. ولما أقام النحويون نحوهم على أسس أهمها: السماع والقياس والتعليل، ظهر منهجان في استخدام هذه الأسس: أحدهما: سمي بالمذهب البصري الذي أراد توحيد القواعد والحكم على الأساليب على وفقها. والآخر: سميّ المذهب الكوفي الذي استوعب أساليب العرب، ووضع قواعده على وفقها، وأقرب قول لهذا الاتجاه الذي يحترم النص المسموع قول أبي عمرو بن العلاء حين سأله بعض معاصريه: «أخبرني عما وضعت مما سميته عربية أيدخل فيها كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقال له: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهي حجة؟ قال: أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات».

إن هذا القول هو الصائب في هذا المجال مادام النحويون وضعوا قواعدهم العربية بلهجاتها المختلفة، لكن النحويين وخصوصاً البصريين منهم قاسوا على الأكثر الأعم، وحكموا على ماخالفهم بالشذوذ والرفض، فكثر لديهم التعليل والتأويل محاولين أن يدخلوا هذا القليل في ضمن قواعدهم وإلاّ رفضوه، فبدأ النحو يتعقد ويصعب منذ مرحلته الأولى في القرن الثالث. ومما عقّد النحو شيئان:

أحدهما أدخل المنطق والفلسفة في قضايا النحو، وقد اتضح ذلك لدي نحويي القرن الرابع للهجرة، وعلى رأسهم أبو الحسن الرماني (ت٣٨٤هـ) الذي كان نمزج نحوه بالمنطق، فاستعمل القياس المنطقي. ولأبي علي الفارسي مقولة في ذلك، إذ قال حين سمع الرماني: «إن كان النحو مايقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء».

إن التشدد في القياس بدأ في النحو العربي منذ عبد الله بن أبي إسحاق (ت١١٧هـ) وازداد لدى المبرد (ت٢٨٥هـ) لكنه تفرع واتسع لدى ابن السراج (ت٣١٦هـ) وأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) الذي تعجب ابن جني من مهارته في القياس قائلاً: كأنه كان مخلوقاً له (الخصائص ١/ ٢٧٧) وروى لأبي علي الفارسي قوله: «أخطىء في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطىء في واحدة من القياس» (الخصائص٢/ ٨٨) وهكذا ازداد القياس تفرعاً واتساعاً لدى

نحويّي القرون اللاحقة.

الشيء الآخر الذي عقد النحو، ويتصل بسابقه هو توقف السماع والاستشهاد عند منتصف القرن الثاني في مجال الشعر، وفي نهاية القرن الرابع في مجال النثر وإن كان الاستشهاد بنثر مابعد القرن الثاني اتصف بشروط الفصاحة في مواطنها. ولمّا توقف السماع صار اعتماد النحويين على القياس أما المسموعات فكانت محدودة بما كان لدى النحويين الأوائل فتفننوا بتفريع القياس والعلل والتأويل فكان بذلك تفخيم النحو دون أن يأتوا بجديد فيه، وكأنما توقّف الاجتهاد عند نحويّي القرن الثالث وأخرهم المبرد وثعلب. أما من جاء بعد هذا القرن فكان له أن يعيد ترتيب أو شرح الموضوعات والأبواب في كتاب سيبويه دون أن يتعداه في الرأي والقاعدة إلاّ في الشرح والتوضيح.

لقد كان في تاريخ النحو العربي ثورتان في مجال المنهج:

إحداهما: في القرن السادس الهجري على يد ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ) صاحب كتاب «الردّ على النحاة» وكان يدعو إلى العودة بالنحو إلى منابعه الأولى ان يقوم على الاستقراء، فدعا إلى إلغاء فكرة العامل التي اتسعت بسبب استخدام النحويين للمنطق كما دعا إلى إلغاء القياس المنطقي والعلل المنطقية وفروعها والاكتفاء بالقياس اللغوي، وكذا العلة التفسيرية اللغوية كما دعا إلى إلغاء التمارين غير العملية التي كان النحويون يتخذونها لتمرين الدارسين على الجدل، ولا صلة لها بالدرس اللغوي، ودعا أيضاً إلى إلغاء أبواب في النحو، وهي التي أوجدتها فكرة العامل، وتمسك النحويون بها مثل: باب الاشتغال، وباب التنازع، وكأنه مال إلى قول الكوفيين في ذلك. وقد ذهب المخزومي إلى أنّ ابن مضاء أقرب إلى منهج الكوفيين اللغوي فقد نقد نحويّي البصرة ومنهجهم في النحو، لكنه لم ينقد أحداً من الكوفيين كالكسائي والفراء وإنما أخذ بآرائهم في كتابه.

أما الثورة الثانية: فهي الدعوة إلى تيسير النحو حديثاً، وقد بدأت في مصر بداية حقيقية على يد إبراهيم مصطفى، ومن عمل معه وما شارك فيه من لجان في ثلاثينيات القرن الماضي، ثم تطورت هذه المحاولة على يدي الدكتور مهدي المخزومي، وأحمد عبد الستار الجواري بعد ذلك. وقد كثر الداعون إلى تيسير النحو غير من ذكرت لكن معظم هؤلاء كان التيسير لديهم امتداد للجنة وزارة المعارف المصرية سنة١٩٣٨ الذي ينحصر في حذف موضوعات وتعديل أخرى واختصارها، لكن اتجاه إبراهيم مصطفى والمخزومي يهدف من التيسير إصلاح المنهج في دراسة النحو لاالتخفف من موضوعاته بحذف بعضها كما كانت دعوة أغلب من دعا إلى تيسير النحو. وأهم المحاولات التي كانت امتداد المحاولة لجنة المعارف المصرية محاولة الدكتور شوقي ضيف منذ كتابة مقدمة كتاب ابن مضاء «الردّ على النحاة» الذي نشره سنة١٩٤٧ وما ألفه ونشره بعد ذلك في مجال التيسير.

لقد تناولت محاولة إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو» الصادر ١٩٣٧ علامات الإعراب وهي كانت محور محاولته في كتابه، وتناول فكرة العامل مفنداً إياها ثم بناء الجملة وأركانها ومكوناتها من مسند ومسند إليه وتوابع ومايخص الاسم والجملة الاسمية في مجالها النحوي مع محاولته تعليل ما خرج عمّا وضعه من مقاييس. وقد غلب على كتابه النظر النحوي. فهو ثبّت فكرة إصلاح المنهج النحوي. وجاء بعده الدكتور المخزومي فكانت محاولته مكملة ما بدأ به إبراهيم مصطفى، ودرس مالم يتعرض إليه من موضوعات كالفعل والجملة الفعلية. فكانت محاولته شاملة لقضايا النحو وتطبيقاته في كتابين: «في النحو العربي - نقد وتوجيه» و«في النحو العربي - قواعد وتطبيق» فالكتاب الأول آراءه في تيسير النحو وإصلاح منهجه بحيث فيه علامات الإعراب ودلالتها، ثم تناول الجملة بنوعيها الاسمية ومكوناتها وتركيبها، ثم الفعلية ومكوناتها، ثم خصص قسمه الأخير لدراسة أساليب الجملة اللغوية، وصور تركيبها جمع في كلّ أسلوب ما تناثر في أبواب النحو في الكتب القديمة، فأدوات النفي جميعاً درسها في أسلوب النحو وأدوات التوكيد وصوره جمعها في أسلوب التوكيد، وهكذا دون النظر إلى فكرة العامل التي شغلت تاريخ النحو العربي، وكانت سبباً لتعقيده وتضخيمه وعدم الاهتمام بأساليب الجملة اللغوية موجّهاً النظر إلى منهج يهتم بوظيفة الكلمة في الجملة وماتؤديه من دلالة مع مايجاورها لتتعاون على إنتاج المعنى الذي يريده المتكلّم ويفهمه المتلقي.

أما الكتاب الثاني فقد جعله تطبيقاً لهذه الآراء التي ثبتها في كتابه الأول، وهذا الكتاب الثاني جعله كتاباً منهجياً يعني بالتطبيق. وكذا كانت محاولة الدكتور الجواري في كتابه «نحو التيسير» وما ألفه في «نحو الفعل» وغيره من مباحثه.

ولم تقف حركة تيسير النحو عند من ذكرنا. وكلّ ما ذكرناه محاولات تنبع من التراث النحوي للعربية، وتحاول أن تفيد مما كان من تطور في علم اللغة الحديث عن طريق الترجمات في ثلاثينيات حتى ستينيات القرن الماضي، لكن طابعها أقرب إلى التراث. فإذا قرأنا مصطلح المنهج الوصفي في تراث المخزومي فهو يعني المنهج اللغوي القريب من منهج الكوفيين، وكذا ماتردد لديه من عبارة «اللغة ظاهرة اجتماعية» فهو ماذكره ابن جني وغيره من نظرية اصطلاحية اللغة ومواضعتها مع الإفادة بما كان يطلّع عليه من كتب المستشرقين المترجمة أو محاضراتهم في مجال علم اللغة في أثناء دراسته في القاهرة وما بعدها.

وقد ظهرت محاولات في خمسينيات القرن الماضي وما بعدها لدى من درس في أوربا علم اللغة الحديث أفادت من مناهج هذا العلم الحديث، وحاولت أن تطبق هذه المناهج على النحو العربي كما كان لدى الدكتور إبراهيم أنيس، وكمال بشر، وتمام حسّان. وأهم هذه المحاولات في مجال النحو محاولة الدكتور تمام حسّان في كتابه «العربية معناها ومبناها» الصادر في ١٩٧٣، وقد درس فيه التراث النحوي للعربية وفق منهج بنيوي حديث. وقد شمل

كتابه مستويات اللغة المختلفة على الترتيب الحديث بادئاً بالمستوى الصوتي، ثم المستوى الصرفي، ثم المستوى النحوي ثم المستوى المعجمي فالدلالي. لقد تناول كتابة أنظمة اللغة العربية على وفق أسس منهجية جديدة رفض فيه فكرة العامل التي رفضها قبله ابن مضاء القرطبي، وإبراهيم مصطفى، والمخزومي، والجواري، وأقام مكانها نظرية القرائن النحوية بقسميها: قرائن المبنى، وقرائن المعنى. وبقي الكتاب نظرية نحوية يعوزه التطبيق.

إنّ محاولة تيسير النحو العربي وإصلاح منهجه ضرورة لا بُدّ من استمرارها والعناية بها، ولكن ينبغي لها أن تقوم على أساسين هامين هما: العلم والتجربة، بعد ما مر فيها من الجهود وإلاّ فقدت مصداقيتها وفائدتها.

أما العلم فينبغي لمن يتصدى لها أن يتصف به أن يكون ملماً بتراث العربية النحوي ومطلعاً على نظريات علم اللغة الحديث. وأما التجربة فينبغي له أن يكون قد عانى واقع العربية على ألسن متكلميها وتدريس قواعدها.

والذي يكون أكثر فائدة في وضع كتاب فيها هو إيمان مؤلف الكتاب بسلامة العربية وضرورة الحفاظ على فصاحتها، وعندها يكون الكتاب المنهجي الموضوع للدارسين يهتم بالتطبيق قبل النظر؛ لأن اللغة عادة لسانية قبل أن تكون قواعد للحفظ كما ينبغي لمؤلف الكتاب المنهجي أن يراعي المرحلة الدراسية فلكل مرحلة مستوى وهكذا تتدرج دراسة اللغة حتى يصل الدارس إلى مرحلة التخصص في الدراسة الجامعية والعليا فتكون دراسة اللغة هنا باعتبارها علماً في مجال مستوياتها المختلفة: أصواتها وصرفها ونحوها ومعجمها ودلالتها.

ومن مناهج علم اللغة الحديث، منهج علم اللغة التطبيقي. يمكن الإفادة من هذا المنهج وجعله مناسباً للعربية في تدريسها انطلاقاً من نصوصها الأدبية المختارة علماً أنه لا يوجد كتاب يكون نهاية التأليف في موضوع من الموضوعات. إنما ينبغي لمحاولات التأليف أن تتدرج وتتطور دون توقف، فحركة العلم دائبة، وتطور المناهج مستمر لكن العربية وقواعدها هي هي فالنظر كل النظر في منهج تدريسها، والكتاب المؤلف الذي يعنى بتربية المهارات اللغوية لدى الدارس وتنميتها. وتطوير قدراته في الأداء والإبداع هو ما ننشده ونبتغيه في قضية النحو وتيسيره وإصلاح منهج تدريسه.

الممنوع من الصرف:

إنّ علامات الإعراب الأصلية في العربية ثلاثة: الضمة علامة الرفع، والفتحة علامة النصب، والكسرة علامة الخفض أو الجر. وتظهر هذه العلامات على أواخر الأسماء في حالاتها الإعرابية المختلفة المذكورة.

وفي عربية القرآن الكريم مجموعة من الأسماء والأوصاف معربة لكنها لا تنون سماها النحويون الممنوعة من الصرف أي التنوين. تظهر عليها الضمة في حالة الرفع والفتحة في حالتي النصب والخفض، وتظهر عليها الكسرة في حالة الخفض في حالتين إذا أُضيفت وإذا

اتصلت بها (ال) التعريف. ومن العرب من يستعملها مصروفة (منونة) في حالاتها الإعرابية المختلفة. رُوي للكسائي والفراء قولهما بجواز صرف كل ما لا ينصرف إلاّ أفعل منك[1]، أي لا يمنع من التنوين سوى اسم التفضيل، فالأصل في الأسماء الإعراب وصرف ما لا ينصرف جاء في العربية ما لا يُحصى منه.

إن الممنوع من الصرف (التنوين) يكون في ثلاثة أنواع من الأسماء في عربية القرآن:

أ ـ العلم. ب ـ الصفة. ج ـ الجموع.

أ ـ العلم: المؤنث مثل: زينب، سعاد، مريم.

جاءت سعادُ، رأيت سعادَ، مررت بسعادَ.

قال تعالى: ﴿**واذكر في الكتاب مريمَ إذ انتبذتْ من أهلها مكاناً شرقياً**﴾ [مريم: ١٦]، العلم المذكر الأعجمي كما وصفه النحويون، ويشمل أسماء الأنبياء ماعدا محمد، ونوحاً ولوطاً.

قال تعالى: ﴿**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وعيسى وأيوبَ ويونسَ وهارونَ وسليمانَ وآتينا داودَ زبورا**﴾ [النساء: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿**ووهبنا له إسحاقَ ويعقوبَ كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبلُ ومن ذريته داودَ وسليمانَ وأيوبَ ويوسفَ وموسى وهارونَ وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياسَ كل من الصالحين * وإسماعيلَ واليسعَ ويونسَ ولوطاً..**﴾ [الأنعام: ٨٤، ٨٥، ٨٦]

العلم المختوم بألف ونون مثل: سليمان، عمران، عثمان.

قال تعالى: ﴿**إن الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمرانَ على العالمين**﴾ [آل عمران: ٣٣]

العلم على وزن الفعل: مثل يونس، تغلب، يزيد، أحمد.

العلم على وزن فُعَل: مثل عُمَر، زُفَر.

ب ـ الصفة:

الصفة المختومة بألف ونون: مثل نعسان، عطشان، سكران، جوعان.

الصفة على وزن أفعل للمذكر وعلى فعلاء أو فعلى للمؤنث:

مثل:

أحمر ـ حمراء	أسمر ـ سمراء
أبيض ـ بيضاء	أهيف ـ هيفاء
آخر ـ أخرى	أكبر ـ كبرى

(١) انظر الانصاف في مسائل الخلاف، للأنباري ـ المسألة ٦٩.

وكذا صحراء وبيداء.

الصفة على وزن فُعَل: مثل أُوَل، أخَر.

قال تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعِدّة من أيام أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿ومن يدعُ مع الله إلهاً آخَرَ لا برهانَ له به﴾ [البقرة: ١١٧].

ج ـ الجمع على مفاعل وماشابهها في الوزن:

مثل: مساجد، سحائب، سواعد، صواعق، سلاسل، طرائق، صوامع.

في المدينة مساجدُ كثيرة مررت بمساجدَ كثيرةٍ

قال تعالى: ﴿.. ولولا دفع الله الناس بعضَهم ببعض لَهُدمتْ صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يذكر فيها اسم الله كثيراً...﴾ [الحج: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبعَ طرائقَ وما كنا عن الخلق غافلين﴾ [البقرة: ١٧].

الجمع على وزن مفاعيل وماشابهه في الوزن.

مثل: مصابيح، أراجيح، أقايل، قراطيس.

قال تعالى: ﴿قلْ من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيسَ تبدونها وتخفون كثيراً﴾ [الأنعام: ٩١].

الجمع على وزن أفعلاء، مثل: اصدقاء، أوصياء، أتقياء.

وقد وردت في القرآن الكريم لفظة (أشياء) ممنوعة من الصرف، ولذلك اختلف الصرفيون في تقدير وزنها الصرفي. فإذا أخذنا بقول من قال: إنها على وزن (أفعال) وهو ليس مما يمنع من الصرف فيمكن اعتبار استعمالها في القرآن الكريم استعمالاً خاصاً يمكن صرفه في الكلام.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياءَ إن تُبدَلكم تسؤكم﴾ [المائدة: ١٠١].

* * *

الأسماء الخمسة:

هذه ألفاظ من الثنائي المتخلّف في العربية من طورها الثاني الذي هو قبل طور نضجها، لأن العربية مرت في تطورها بأطوار، فالطور الثنائي هو قبل طورها الأخير الثلاثي، وفيه تكامل نضجها، وكثر الاشتقاق فيها بهذا الطور، فالثلاثي أكثر مرونة وأوسع في الاشتقاق. ولما استقرت العربية على الثلاثي في مرحلة نضجها أضيف للثنائيات صوت لين ثالث لتنسجم مع مفردات اللغة، لذلك استعملت الأسماء الخمسة وهي من هذا القبيل. فأعربت بالحركات وهي ثنائية مثل: أب وأخ وحم، أما فو وذو، فهما ثنائيان مع صوت الله لأنه لايوجد اسم في العربية اسم من حرف واحد سوى بعض الضمائر، وهي مما بقي من مراحل اللغة السحيقة فظلاّ يستعملان مضافين، وأما الضمائر فلا تضاف فالاسم (فو) لا يضاف إلا إلى الضمائر

و(ذو) لا يضاف إلا إلى الظاهر، وأما الثلاثة الأولى فهي تضاف إلى الظاهر وإلى الضمائر.

وحين تضاف هذه الأسماء تعرف بأصوات اللين؛ الواو في حالة الرفع، والألف في حالة النصب، والياء في حالة الجر أو الخفض، على اعتبار أن مطل الحركات يُحدث هذه الأصوات كما ذهب أبو عثمان المازني وغيره من النحويين القدماء، وأصحاب تيسير النحو إبراهيم مصطفى، والمخزومي، والجواري من المحدثين باعتبار أن الضمة والفتحة والكسرة أبعاض أصوات الواو والألف والياء كما هو قول الخليل الفراهيدي.

نقول:

جاء أبٌ — و جاء أبوك وأبو علي

جاء أخٌ — و جاء أخوك وأخو زيدٍ

جاء حمٌ — و جاء حموك وحمو زيد

وفوك نظيف

وهذا ذو علم

هذا استعمالها في حالة الرفع أما هي في حالة النصب فكما يأتي:

رأيت أباً — و رأيت أباك وأبا زيد

أكرمت أخاً — و أكرمت أخاك وأخا عليّ

ساعدت حما — و ساعدت حماك وحما خالد

نظف زيد فاه

كرّمتُ ذا علم

وأما في حالة الجرّ فكما يأتي:

مررت بأبٍ — و مررت بأبيك وبأبي زيدٍ

مرررت بأخٍ — و مررت بأخيك وأخي زيد

مررت بحمٍ — ومررت بحميك وحمي خالد

لا يخرج من فيك غير الطيب

صاحب ذي العلم رابح

النـــداء:

هو من أساليب العربية، ويراد به تنبيه المنادى. ويتركّب من أداة النداء والمنادى سواء كان النداء حقيقياً أم مجازياً.

أدوات النداء: الهمزة ويا وأيا ووا.

الهمزة: استخدمت لنداء القريب أو ماهو بمنزلته: مثل:

أمحمدُ لا تتكاسل في عملك

وتلحق أحياناً ياء ساكنة بالهمزة فينادى بها المحبّب كقول الوالد: أيْ بنيّ.

يا: وهي أكثر الأدوات استعمالاً وقد استعملت لنداء القريب والبعيد لما فيها من مدّ الصوت الذي يمكن أن يصل إلى المنادى. مثل:

يا زيد أخلص في عملك
يا من يعزّ علينا أن نفارقهم
ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

ولكثرة استعمال هذه الآداة فهي قد تحذف وتقدر من سياق الكلام كما في قوله تعالى: ﴿يوسفُ أعرض عن هذا واستغفري لذنبك﴾ أي يا يوسفُ.

وكقوله تعالى: ﴿يريد الله ليذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهير﴾ أي يا أهل البيت.

وكقول الخطيب: أيها الناس. أي ياأيها الناس. وقد تستعمل (يا) في سياق التعجب. كقول امرىء القيس:

فيا عجبا من كورها المتحمّل

وكقولنا: ياعجبي من هذا المنظر.

أيا: وهي مركبة من الهمزة ويا معاً وينادى بها البعيد. وفي بعض لهجات العرب تبدل الهمزة هاء فتنطق (هيا). مثل:

أيا من كان لي سندا

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تحزن على ابن طريف
فقال هيا ربّاه ضيفٌ ولاقرى بحقك لاتحرمه تا الليلة اللحما

وا: وهي تستعمل في الندبة ونداء التوجع والتفجع. وسيأتي الحديث عنها.

المنادى:

يكون المنادى في هذا الأسلوب بالصور الآتية:

١ـ **المفرد المعرفة**. مثل: يا زيدُ ويا محمدُ.

أو النكرة المقصودة أي المعرّفة بالنداء مثل: يارجلُ، وأنت تقصد رجلاً معيناً.

قال الأعشى:

قالت هريرة لما جئت زائرها ويلاً عليك وويلاً منك يارجلُ

والمنادى المفرد هنا يراد به غير المضاف ولا الشبيه بالمضاف، ومنه: يازيدُ ويا زيدان ويازون.

ويكون ملازماً لعلامة الرفع الضمة كما في نداء الواحد والألف في المثنى، والواو في جمع المذكر السالم.

والأكثر أن لا ينون، وقد جاء منوناً مضموماً أو منصوباً في أمثلة كثيرة خصوصاً في الشعر مما سمّي ضرورة شعرية كقول الشاعر:

ضربت صدرها إليّ وقالت يا عديا لقد وقتك الأواقي

٢ـ المنادى المضاف: ويكون منصوباً بعلامة النصف الفتحة أو غيرها. مثل:

يا عبدَ الله علامة نصبه الفتحة

يا أخا زيد علامة نصبه الألف؛ لأنه من الأسماء الخمسة

قال تعالى: ﴿ياصاحبيْ السجنِ أما أحدكما فيسقي ربّه خمرا﴾ [يوسف: ٤١]، علامة نصبه الياء لأنه مثنى.

يا ربّي ساعدني. مضاف إلى ياء المتكلم، لاتظهر حركته الحقيقية أي الفتحة. والمضاف إلى ياء المتكلم قد تحذف ياء المتكلم فنقول: يا ربا، وقد يوصل بهاء السكت فنقول: يارباه.

وقد تأتي هذا التركيب في مجال التعجب كقول امرىء القيس:

فياعجباً من كورها المتحمّل

وقولنا: يا عجباً من هذا المنظر.

٣ـ الشبيه بالمضاف. مثل: ياصاعداً جبلاً. يامساعداً الفقراء. ويكون هذا نداء عاماً كما يكون نداء المشتقات غالباً. وهو منصوب ومنون. لأنه عام كما ينادي الأعمى مارا دون تعيين فيقول:

ياماراً خذْ بيدي أو يارجلاً خذ بيدي

هذا ماسماه النحويون النكرة غير المقصودة.

٤ـ نداء ما فيه (ال).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

لا ينادى في العربية ما فيه (ال) مباشرة، ولكن تستعمل أداة الوصل (أيّ) مع (ها) للتنبيه بعد أداة النداء ثم يؤتى بالمنادى مرفوعاً تابعاً لأداة الوصل (أيّ) تبعية الوصف. مثل قوله تعالى:

﴿ياأيُّها المدثرُ﴾ و﴿ياأيّها المزّمّلُ﴾ هنا علامة رفع المنادى الضمة.

وكقولنا: ياأيها الناجحون في أعمالهم. هنا علامة رفع المنادى الواو.

وقد يكون المنادى من المبنيات لا تظهر علامة إعرابه فهو بمرتبة ما سبق: كقوله تعالى: ﴿ياأيُّها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾ [التحريم: ٦].

وقد يستغنى عن أداة النداء هنا لوضوحها في السياق كما ذكرنا في قول الخطيب: أيّها الناس.. أيّها السامعون.

الندبة:

تستعمل الأداة (وا) في صورة تشبه النداء لكنها يراد بها التوجّع كقول المتوجع: وارأساه.

أو يراد بها التفجّع على فقيد فيصيح المتفجع: وازيداه، واعلياه.

هذا التركيب يلحق فيه المتوجع منه والمتفجع عليه ألف.

قال النحويون إن هذه الألف بدل من ياء الإضافة، ويختم بها هاء السكت كما في الأمثلة السابقة.

الاستغاثة:

تستعمل أداة النداء «يا» لصورة من صور التنبيه وطلب المساعدة سمّاها النحويون «الاستغاثة» وهي طلب المنادي المستغيث العون ممن يناديه مستغيثاً ليخلّصه من اذى ويعينه أو ينجده.

وتتركب عبارة الاستغاثة في الأصل من ثلاثة عناصر:

١ ـ أداة الاستغاثة «يا».

٢ ـ المستغاث به.

٣ ـ المستغاث من أجله.

وفي هذا التركيب تتصل لام مفتوحة في المستغاث به، ولام مكسورة في المستغاث من أجله. مثل:

يا لمحمدٍ لِزيدٍ

فالمستغاث به (محمد). والمستغاث له (زيد) والأول اتصلت به لام مفتوحة قال عنها النحويون إنها حرف جر. والحق إنها بقايا كلمة (آل أو أهل) وكأنّ المستغيث طلب النجدة من (آل محمد). هكذا كانت النجدة تطلب من (آل فلان) أو القبيلة، ولكثرة الاستعمال ودلالة السياق اختصرت الكلمة فبقيت اللام، وبقي الاسم بعدها مجروراً بالإضافة على حاله.

أما المستغاث له فتسبقه لام مكسورة، وهي حرف الجر المعهود.

وقد يستعمل هذا الاسلوب في مجال التهديد حين يطلب المستحيل عند حادث كما جاء في قول الشاعر:

يـالَبكـرٍ أنشـروا لـي كليبـاً يـالَبكـرٍ أيـن أيـن الفـرارْ

ولما كان كُلَيْب قد قتل فيطلب الشاعر إحياءه وهو مستحيل فكان السياق تهديداً.

الاستثناء:

من أساليب العربية وفيه يخرج مابعد أداة الاستثناء مما دخل فيه ماقبلها. والآداة الأصلية للاستثناء هي (إلاّ) وأما غيرها من أدوات أو أفعال فهي محمولة عليها، لأنها تؤدي الوظيفة نفسها للاداة (إلاّ).

عناصر جملة الاستثناء هي:

١ ـ المستثنى منه. ٢ ـ أداة الاستثناء. ٣ ـ المستثنى.

فإذا نقص عنصر منها تغيّر أسلوب الجملة كأن ينقص عنصر المستثنى منه، ويسميه النحويون الاستثناء المفرغ ففي هذه الحال ستكون الجملة من أساليب التوكيد لا الاستثناء ويعرب ما بعد (إلاّ) بحسب موقعه من الإعراب، و(إلا) تكون للحصر وتأتي بعد نفي. مثل:

ما جاء إلا عليُ. علي: فاعل.

ما رأيت إلا علياً. علياً: مفعول به.

قال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول. . .﴾ رسول: خبر المبتدأ محمدٌ.

وقد تكون (إلا) بمعنى (لكنْ) ففي هذه الحال لايكون هناك استثناء. مثل قولي:

أردتُ أن أقرأ شعراً إلا أني غيّرت رأيي فقرأت مقالة.

وللاستثناء صورتان:

١ ـ الموجب: مثل: جاء الطلاب إلا زيداً.

زيداً: منصوب على الاستثناء، فهو قد خرج عما دخل فيه ماقبل (إلاّ).

وقال تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلاّ إبليسَ أبى أن يكون مع الساجدين﴾ [الحجر: ٣٠ ـ ٣١].

إبليس: منصوب على الاستثناء.

٢ ـ السالب. مثل: ما جاء الطلاب إلاّ زيداً.

زيداً: مستثنى. فهو قد أثبت له ما نفي عما قبل (إلا).

وقد يقدّم المستثنى على المستثنى منه في الشعر كقول الكميت:

فمـــالـــي إلاّ آل أحمـــدَ شيعـــةٌ ومـــالـــي إلاّ مـــذهـــبَ الحـــق مـــذهـــبُ

والاستثناء نوعان:

١ ـ ما كان مابعد (إلا) جزء مما قبلها، وسماه النحويون الاستثناء المتصل كما في الأمثلة السابقة وكما في قولنا: حضر المدعوون إلا علياً. علياً: جزء من المدعوين وهو مستثنى.

٢ ـ ما لم يكن جزء من المستثنى منه، وسماه النحويون المنقطع، مثل قولنا:

حضر المسافرون إلاّ حقائبهم. فالحقائب لم تكن جزء من المسافرين.

وكقوله تعالى: ﴿ما لهم به من علم إلا اتباعَ الظن وما قتلوه يقينا﴾ [النساء: ١٥٧]، وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس. . .﴾ فإبليس منصوب على الاستثناء ليس من الأول؛ لأن إبليس ليس من الملائكة لأنه خُلِقَ من نار.

أدوات أخرى للاستثناء:

(غير وسوى):

وهما اسمان مبهمان قد يستعملان استعمال (إلا) في الاستثناء إذا توفرت عناصر جملة الاستثناء المذكورة. وهما يضافان إلى ما بعدهما ويأخذان حكم المستثنى، ويراد بهما معنى المغايرة. مثل:

جاء الطلاب غيرَ علي. غيرَ: منصوبه على الاستثناء و(علي) مضاف إليه.

ماجاء الطلاب غيرَ علي. غيرَ: منصوبة على الاستثناء و(علي) مضاف إليه.

وإذا لم تتوفر عناصر الجملة الاستثنائية فاستعمالهما بحسب موقعهما.

ففي قولنا: ماجاء غير علي. غيرُ: فاعل للفعل و(علي) مضاف إليه.

وكذا (سوى) مثل غير في الاستعمال. كقولي:

جاء القوم سوى زيدٍ. سوى زيدٍ: مستثنى وسوى في موضع نصب.

وقولنا: ماجاء سوى زيدٍ. سوى زيدٍ: فاعل وسوى في موضع رفع.

وليس في الجملة الثانية استثناء إنما هي صورة من صورة التوكيد.

(عدا وخلا):

جاء الطلاب ما عدا علياً. علياً: مستثنى منصوب بفعل الاستثناء (ما عدا).

ماجاء الطلاب ما عدا علياً. علياً: مستثنى منصوب بفعل الاستثناء.

قال لبيد:

ألا كلّ شيء ـ ماخلا الله ـ باطل وكل نعيم لامحالة زائلْ

استعمل (عدا وخلا) مع أداة الوصل (ما) فكانا فعلي استثناء ونصب ما بعدهما مستثنى.

وإذا لم تستعمل معهما (ما) فهما أداتان جامدتان يضافان إلى ما هما. مثل:

جاء الطلاب عدا زيدٍ وخلا عليٍ

حاشا:

لفظة تستعمل للتنزيه غالباً كقوله تعالى ﴿حاشَ لله ما هذا بشرا﴾ [يوسف: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿قلنَ حاشَ لله ما علمنا عليه من سوء﴾ [يوسف: ٥١].

وكقولنا: حاش لزيد أن يفعل كذا.

وقد تأتي فعلاً متصرفاً فنقول: حاشيتُ فلاناً أن يفعل كذا.

ونادراً ماتستعمل استعمال (إلا) للاستثناء. ويبقى التنزيه ملازماً لها في الغالب حتى لو استعملناها للاستثناء على ندرته كقولنا:

لمتُ الأولاد حاشا زيداً. ولا نقول: جاء الطلاب حاشا زيداً؛ لأنها تخلو من التنزيه.

العدد:

نستطيع أن نقسّم العدد إلى ما يأتي:

١ ـ المفرد: وهو غير المركب عند النحويين من ١ ـ ١٠.

٢ ـ المركب: ٣ ـ ألفاظ العقود. ٤ ـ العدد المعطوف.

١ ـ **العدد من ١ ـ ١٠** يعرب بالحركات ماعدا (اثنين واثنتين) فيعربان إعراب المثنى أي يرفعان بالألف وينصبان ويخفضان بالباء.

فالعدد واحد واثنان يوافقان المعدد في التذكير والتأنيث والإعراب.

نقول: هذا رجلٌ واحدٌ ورجلان اثنان وطالبتان اثنتان.

وساعدت طالباً واحداً وطالبين اثنين وطالبتين اثنتين.

من ٣ ـ ١٠ يخالف المعدود في التذكير أو التأنيث، وهو يضاف إلى المعدود ويكون المعدود، مضافاً إليه. مثل:

هؤلاء ثلاثة رجالٍ و ثلاث نساءٍ

عندي خمسة أقلام و خمس حقائب
قبل المعمل عشرة عمال و عشر عاملات

قال تعالى: ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبعٌ عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابساتٍ﴾ [يوسف: ٤٣].

العدد مئة وألف ومليون، فيضاف إلى المعدد وله صورة واحدة مع المذكر والمؤنث ويكون المعدود مفرداً مضافاً إليه. نقول:

في القاعة مئة طالب ومئة طالبة ومئتا طالب وطالبة
في المدرسة ألف طالب وطالبة وألفا طالب وطالبة

٢ ـ **العدد المركب**: من ١١ ـ ١٩ يكون مبنياً على فتح الجزءين ما عدا ما كان صدره اثنان واثنتان ويكون تمييزه مفرداً منصوباً.

١١، ١٢ يوافقان المعدود في التذكير أو التأنيث. مثل:

جاء أحدَ عشرَ طالباً وإحدى عشرةَ طالبة
عندي اثنا عشرَ قلماً واثنتا عشرة ماسحة
اشتريت اثني عشرَ قلماً واثنتي عشرة ماسحة

قال تعالى: ﴿إنّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾ [التوبة: ٣٦].

وقال: ﴿إنّي رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف: ٤].

٣ ـ **العقود**: صورتها واحدة مع المذكر والمؤنث وتعرب إعراب جمع المذكر السالم ترفع بالواو وتنصب وتخفض بالياء وهي: عشرون، ثلاثون، أربعون، خمسون، ستون، سبعون، ثمانون، تسعون. وتمييزها مفرد منصوب. مثل:

جاء عشرون رجلاً و ثلاثون إمرأةً
اشتريت عشرين قلماً و ثلاثين مسطرة
في القاعة تسعون طالباً وطالبة

قال تعالى: ﴿وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربي أوزعني أن أشكر نعمتك﴾ [الأحقاف: ١٥].

٤ ـ **العدد المعطوف** وهو مابين العقود ٢١، ٢٢، ٢٣ . . . . ، ٢٩. ثم ٣١، ٣٢ . . . . ، ٣٩. وهكذا حتى ٩٩.

فمن ١ ـ ٩ نعطيه حكم العدد المفرد السابق ولفظ العقد على صورته المذكورة وإعرابه ملحقاً بجمع المذكر السالم. أقول:

جاء واحد وعشرون طالباً و إحدى وعشرون طالبة
هؤلاء اثنان وعشرون جندياً و اثنتان وعشرون متسابقةً
كرّمتُ واحداً وعشرين طالباً و إحدى وعشرين طالبة

عندي ثلاثة وعشرون كتاباً و ثلاث وعشرون رواية
قرأتُ خمسة وعشرين مقالاً و خمساً وعشرين قصة

صوغ العدد على وزن فاعل:

قد يصاغ العدد على وزن فاعل فيكون تباعاً لموصوفه في تذكيره وتأنيثه. أقول:

طالب واحد و طالبة واحدة
قد فاز الطالب الثالث والعشرون ونجحت الطالبة الرابعة والعشرون
فاز المتسابق الخامس والمتسابقة الثامنة

تعريف العدد بـ (ال):

قد تدخل (ال) على العدد فمن ٣ ـ ١٠ تدخل على المعدد مثل:

جاء ثلاثة الطلاب وحضرت أربع الطالبات
قرأت عشرة الكتب وعشر الروايات
حضر مئة الطالب ومئة الطالبة

أما المركب فيعرف جزؤه الأول تقول:

الأحد عشر طالباً والأحد عشرة طالبة
الثلاثة عشر طالباً والثلاث عشرة طالبة

وأما العقود فتعرف ولايتغير منها سوى اعرابها بحسب موضعها من الجملة:

جاء العشرون طالباً والثلاثون طالبة

والعدد المعطوف يعرف جزآه. أقول:

جاء الواحد والعشرون طالباً والإحدى والعشرين طالبة
رأيت التسعة والتسعين طائراً والتسع والتسعين طائرة

وأما البضع فهو مبهم يستعمل استعمال الأعداد المفردة أي يذكر إذا كان المعدود مؤنثاً ويؤنث إذا كان المعدود مذكراً ودلالته لاتقل عن ثلاثة ولا تزد على تسعة، أقول:

جاء بضعة رجال وبضع نساء

قد يعطف عليه فأقول:

هؤلاء بضع وعشرون طالبة وبضعة وعشرون طالباً

وأما النيف فدلالتها من ١ ـ ٩ وتبقى في الاستعمال على تذكيرها لاتلحقها تاء التأنيث ثم هي تعطف على لفظ عقد ١٠، ٢٠، ٣٠... ٩٠ نقول:

جاء عشرة رجال ونيّف وعشرون امرأة ونيف
وخمسون رجلاً ونيف وتسعون طالبة ونيف

قراءة التاريخ والأعداد المكونة من العشرات والمئات..

يمكن قراءة العدد الكبير من اليمين، وتجوز قراءته من اليسار أيضاً فالأعداد التالية تقرأ:

١٢٠ عشرون ومئة أو مئة وعشرون.

٩٥٠ خمسون وتسعمائة أو تسعمائة وخمسون.

١٥٢٠ عشرون وخمسمائة وألف، أو ألف وخمسمائة وعشرون.

١٩٦٠ ستون وتسعمائة وألف أو ألف وتسعمائة وستون

٢٠٠٢ اثنتان وألفان أو الفان واثنتان.

ويبدو أن الشائع قراءة العدد من اليسار إذا كان بالمئات والآلاف، ومن اليمين إذا كان بالعشرات.

* * * *

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى